

بين مفهوم "اللفظة" في النظرية الخليلية الحديثة ومفهوم "العبارة" في اللسانيات التوليدية (قراءة مقارنة)

د.حميدي بن يوسف

جامعة المدية

hamicef@gmail.com

الملخص:

يلامس هذا البحث موقف عبد الرحمن الحاج صالح من النظريات اللسانية الغربية، ويحاول تقديم قراءة مقارنة تطال مفهومين مركزيين في كل من النظرية الخليلية الحديثة لمؤسسها عبد الرحمن الحاج صالح والنظرية التوليدية التحويلية لزعيمها نوام شومسكي. وهما: مفهوما اللفظة والعبارة اللذان يمثلان الوحدة القاعدية في التحليل اللساني.

ولقد تبين لنا من خلال الاطلاع على مفهومي اللفظة والعبارة في كل من النظريتين وجود تشابه كبير بينهما؛ فاللفظة بالنسبة للحاج صالح هي وحدة لسانية تركيبية قابلة لأن تستوعب مختلف تجليات البنى في اللغة العربية وغيرها من اللغات مما يجعل منها مفهوما كلياً (الكليات اللغوية)، كما أنها تشتمل في بنيتها على عنصر مركزي هو (النواة) التي ترتبط مع الوحدات الأخرى وفق علاقات بنوية محددة. والعبارة في نظرية النحو التوليدي التحويلي بدورها تمثل أحد أبرز النماذج اللسانية التركيبية التي تتجاوز حدود اللغة الواحدة لتشكل مفهوما كلياً أيضاً. وإضافة إلى ذلك، فتركيبها مشابه للفظية الخليلية، حيث تتكون من عنصر مركزي يسمى: الرأس، إضافة إلى عناصر أخرى تقترن به وفق مستويات مترتبة، مثل المخصص أو الفضلة.

غير أن هذا التشابه الكبير لا يحجب بعض نقاط الافتراق والتمايز بين المفهومين، وبخاصة فيما يتعلق بأنواع اللفظة والعبارة، فالأولى تتحقق في نوعين بارزين هما: اللفظة الاسمية واللفظة الفعلية، أما الثانية كما أنها تتجلى في أنواع: هي: العبارة الاسمية، والفعلية، وعبارة حرف الجر، وعبارة الصفة.

ونسعى من خلال هذه الدراسة المقارنة بين المفهومين إلى الإجابة عن سؤال مركزي يتمثل في: أي المفهومين أقدر على استيعاب التجليات المختلفة للوحدة التركيبية في اللغات المختلفة. أما بخصوص آفاق البحث فلعل أبرزها يتصل بمدى استثمار مفهوم اللفظة في وصف البنى التركيبية للغات المختلفة، وكيفية توظيف هذا المفهوم في تعليم البنى التركيبية للغة العربية، وحوسبتها.

الكلمات المفتاحية: النظرية الخليلية - التوليدية - اللفظة - العبارة

1. مقدمة:

يعدّ ضبط الجهاز المفهومي لأية نظرية لسانية إجراءً ضرورياً يضطلع به مؤسس تلك النظرية، حيث يعتمد على الأقل إلى ضبط مفاهيمها القاعدية التي تساهم في تحديد المفاهيم الفرعية أو الجزئية الأخرى. وبالاطلاع على النظرية التوليدية التحويلية، تبين بأن نوام شومسكي قد عمد إلى ضبط مفاهيمها وتحولاتها بشكل ييسر سبل تطبيقها على اللغات المختلفة. وكذلك فعل مؤسس النظرية الخليلية الحديثة – عبد الرحمن الحاج صالح (رحمه الله) . الذي أولى هذا الجانب عناية خاصة، حيث قام بتحديد دقيق لمصطلحات النظرية، حاول من خلاله إجلاء اللبس الموجود بين كثير من المفاهيم المتداخلة.

ومن بين المصطلحات المركزية للنظرية الخليلية الحديثة التي تعد أحد أنوية الشجرة المفهومية للنظرية، مصطلح اللفظة (La lexie) الذي يشكل مفهوماً نقطة تقاطع محوري التركيب والاستبدال، وتتجلى في مستواها عدد من العلاقات اللسانية، مثل التناظر، والتكافؤ، والاندراج وغيرها. وبالمثل، فإنّ مفهوم العبارة س في النظرية الموسّعة لشومسكي يمثل مفهوماً محورياً متمامياً، حيث تجلّت فيه قوّة النظرية من خلال انفتاحها . بالاستناد على هذا المفهوم على أكبر عدد من اللغات، فحققت بصورة كبيرة إحدى المبادئ والكمالات اللغوية.

ولقد كشف الاطلاع على مفهوم اللفظة والعبارة في كل من النظريتين عن وجود تشابه كبير بينهما؛ فاللفظة بالنسبة للحاج صالح هي وحدة لسانية تركيبية قابلة لأن تستوعب مختلف تجليات البنى في اللغة العربية وغيرها من اللغات مما يجعل منها مفهوماً كلياً (الكليات اللغوية)، كما أنّها تشتمل في بنيتها على عنصر مركزي هو (النواة) التي ترتبط مع الوحدات الأخرى وفق علاقات بنوية محددة. والعبارة في نظرية النحو التوليدي التحويلي بدورها تمثل أحد أبرز النماذج اللسانية التركيبية التي تتجاوز حدود اللغة الواحدة لتشكّل مفهوماً كلياً أيضاً. وإضافة إلى ذلك، فتركيبها مشابه للفظّة الخليلية، حيث تتكوّن من عنصر مركزي يسمى: الرأس، إضافة إلى عناصر أخرى تقترن به وفق مستويات مترتبة، مثل المخصص أو الفضلة.

غير أنّ هذا التشابه الكبير لا يحجب بعض نقاط الافتراق والتمايز بين المفهومين، وبخاصة فيما يتعلّق بأنواع اللفظة والعبارة، فالأولى تتحقّق في نوعين بارزين هما: اللفظة الاسمية واللفظة الفعلية، أما الثانية كما أنّها تتجلى في أنواع: هي: العبارة الاسمية، والفعلية، وعبارة الجر، وعبارة الصفة.

ونسعى من خلال هذه الدراسة إلى تقديم قراءة مقارنة بين هذين المفهومين المركزيين في كل من النظرية الخليلية الحديثة والنظرية التوليدية التحويلية، محاولين التعرّف على التجليات المختلفة للوحدة التركيبية المحققة للفظّة أو العبارة في اللغات المختلفة. أما بخصوص آفاق

البحث فـلـعل أـبرـزها يتـصل بـمدى اسـتـثـمار مـفـهـوم الـلفـظـة فـي وـصـف البـنى التـركـيبـية للـغات المـخـتـلـفـة، وكـيـفـية تـوظـيف هـذا المـفـهـوم فـي تـعـلـيم البـنى التـركـيبـية للـغة العـربـية وحوـسـبـتها.

2. اللفظة في النظرية الخليلية الحديثة:

2.2. مفهوم اللفظة:

يـعـبّر مصـطـلـح الـلفـظـة فـي النـظـريـة الخـلـيلـية الحـديثـة عـن مـفـهـوم لـسـانـي مـركـزي، يُـحـدّد وـفـق مـعـايـير شـكـليـة مـوقـعيـة بـالـأسـاس، حـيـث يـصـرّح الحـاج صـالـح فـي سـياق حـديثـه عـن اللـغـويـن العـرب القـدامى قـائـلا: « وبـالـفـعل كـان المـنـطـلـق عـنـدهـم كـل ما يـنـفـصـل و يـبـتـدأ و هي صـفـة الـانـفـراد و يـمـكـن أن يـكـون بـذـلك الأـصـل لأشـياء أـخـرى تـتـفرّع عـلـيـه. و لـهـذا يـجـب أن يـنـطـلـق مـن أـقل ما يُـنـطـق بـه مـما يـنـفـصـل و يـبـتـدأ (= يـنـفـرد) و هو الـاسـم المـظـهـر بـالعـربـية. و كـل شـيء يـتـفرّع عـلـيـه و لا يـمـكـن لـما فـي داخـله أن يـنـفـرد فـهـو بـمـنـزلة، و لـهـذا سـمى النـحـاة الأـوـلـون هـذه النـوـاة بـالـاسـم المـفـرد و "ما بـمـنـزلة الـاسـم المـفـرد" و أـطـلـق عـلـيـها ابن عـيـش و الرـضـي اسـم "الـلفـظـة" (و تـرجـمـنا هـا بـ Lexie) (1)، و هـذا «مـن أـجل تـمـيـيزها عـن القـطـع الدالـة الـتي تـتـكوّن مـنـها أي الـكـلم» (2). و الـلفـظـة و فـق هـذه النـظـرة هـي ذـات مـفـهـوم خـاص بـالنـظـريـة يـخـتـلـف عـن المـعـانـي الأـخـرى للـفـظـة، حـيـث إنّه تـسـم فـي النـظـريـة الخـلـيلـية الحـديثـة بـالـاسـتـقـلـاليـة (الـانـفـراد) مـما يـجـعـلها و حـدة لـغـويـة قـائـمة بـرأسـها. و هـذه الـاسـتـقـلـاليـة تـسـمـح بـتـمـيـيزها عـن مـفـهـوم قـريـب مـنـها هـو مـفـهـوم "الـكـلمة" الـتي تـجـسـد مـسـتـوى لـسـانـيـات أـدنى مـن الـلفـظـة، حـيـث تُعـتـبـر هـذه الأـخـيرة "الـقـطـعة الصـغـرى ذـات الدالـة" (3).

و يـمـيـز فـي النـظـريـة الخـلـيلـية الحـديثـة بـين نـوعـين مـن الـلفـظـات، هـما الـلفـظـة الـاسـمـية الـتي تـكوّن نـوا تها عـبـارة عـن اسـم، مـثـل: "الـسـماء" و الـلفـظـة الفـعـليـة الـتي يـحتـل الفـعل المـاضـي أو المـضـارع أو الأـمر مـوقـع النـوـاة (أو الأـصـل فـيها) (4)، (خـرج، يـخـرج، اـخـرج). و بـالرـغـم مـن الـاخـتـلاف فـي الطـبـيـعة الصـرفـية للـلفـظـة الـاسـمـية و الفـعـليـة إلّا أن حـدّها يـأخـذ شـكـلا عـامـا مـوَحـدا، حـيـث يـضـم كـلا النـوعـين عـنـصـرا مـركـزيا يـسـمى النـوـاة، و تـنـضـاف إلـيـه عـنـاصـر لـغـويـة أـخـرى عـلى يـمـين النـوـاة و يـسـارها.

و نـخـلـص مـن خـلال التـحـديـد السـابـقة إلـى أنّ الـلفـظـة فـي النـظـريـة الخـلـيلـية الحـديثـة تـنـتـعي إلـى مـسـتـوى مـتـوسـط مـن مـسـتـويـات اللـسـان، حـيـث تـقـع بـين مـسـتـوى الـكـلمة و مـسـتـوى القـول، و هـذا المـوقـع يـسـمـح بـمـعـرـفـة العـلـاقـات الصـرفـية و التـركـيبـية مـعـا.

2.2. اللفظة ومنطق التفرع:

يـتـبيّن لـلمـطّـلـع عـلى حـدّ الـلفـظـة، كـما مـثـله الحـاج صـالـح، أنّها لا تـظـهـر كـو حـدة مـنـعـزلة، بـل تـتـعـالـق مـع و حـدات مـن نـفس مـسـتـواها (لفـظـات أـخـرى). و هـذا التـعـالـق الـذي يـأخـذ مـنـحـى تـصـرـيفـيا paradigmaticque عـمـوديا يـفـسّر عـبـارة "ما بـمـنـزلة الـاسـم الـواحد"، حـيـث يـجـسـد الـاسـم مـثـلا . فـي

د. حميدي بن يوسف/ بين مفهوم "اللفظة" في النظرية الخليلية الحديثة ومفهوم "العبارة"

في اللسانيات التوليدية (قراءة مقارنة)

اللفظة الاسمية . مفهوم اللفظة وما يقوم مقامها أو ما هو بمنزلتها. ولما كان ذلك كذلك، فإنَّ تحديد العلاقة بين الاسم واللفظات الأخرى التي تقوم مقامه يبدو ضرورياً.

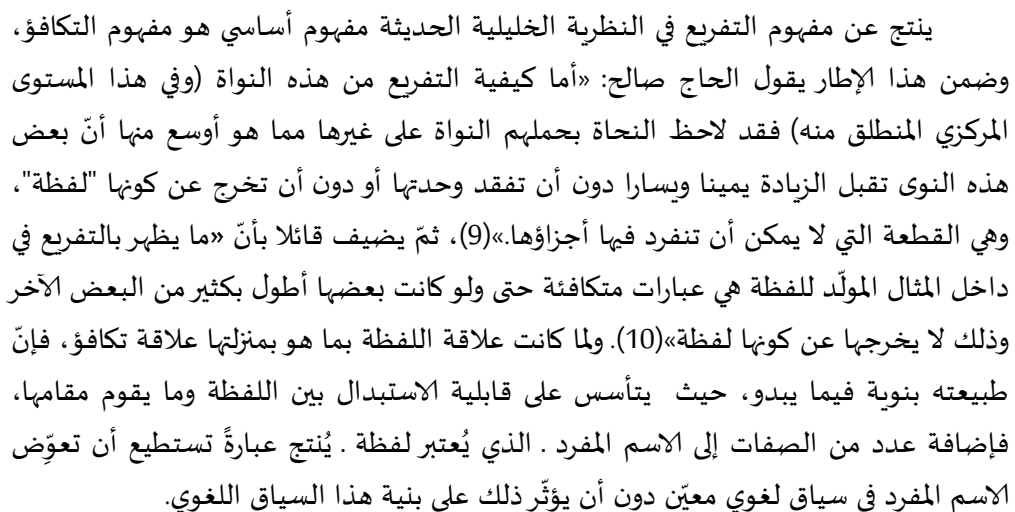
يرى الحاج صالح أنَّ «كل العناصر القابلة للانفراد تعتبر في اللسانيات الخليلية كأصول يمكن أن تُفرَّع منها وحدات أخرى بعمليات خاصة وهذا بعد حصر الأصول» (5) . ولكن هذا التفرع لا يُخرج اللفظة عن حدِّها.

وتتم آلية التفرع، عند الخليليين، بواسطة الزيادة، «فالعمل (...) تركيبى . تفرعي. وهذا طبيعي لأنهم ينطلقون في عملهم من أصغر ما يُتخاطب به مفرداً، ويعتمدون في ذلك . كما فعل الخليل وسيبويه . على عملية تفرعية (أو تحويلية) واحدة وهي الزيادة على الأصل وهي تخضع لقواعد معيّنة» (6).

يرى الحاج صالح بأنَّ «عملية الزيادة . وهي نوع من التحويل (تحويل الأصل) (transformation) هي التي تحدّد بكيفية صورية (في اللفظ) وإجرائية (هو مجزء عمل) المواقع الخاصة التي تقع فيها الزوائد بالنسبة إلى النواة» (7)، أي أنَّ التفرع هو عملية تحويلية يتم من خلالها الانتقال من عبارة إلى أخرى دون أن تفقد أي واحدة منها خصائصها التي تجعل منها لفظة.

وضمن هذا السياق يقترح الحاج صالح مصطلح التمكن، حيث يرى أنَّ «الاسم المتمكّن هو الذي يمكن أن يُسبق ويلحق مباشرة بعدد معين من العناصر الإضافية والذي يشكّل معها لفظة، (...) يوجد إذن زيادة تدريجية وانفصالية» (8). وإذا كانت الزيادة التدريجية تتم وفق المحور التركيبي، أي من خلال الزيادة عن يمين الأصل (النواة) أو يسارها، فإن تكرار الزيادة في حد اللفظة يؤدي إلى نشوء محور عمودي ينتمي على العلاقة بين اللفظة الأصلية وما يتفرع عنها من لفظات. (يُنظر مثال اللفظة الاسمية أدناه).

بقي أن نشير بأنَّ مفهوم التفرع في مستوى اللفظات يرتبط بمصطلح الإطالة، récursivité، حيث يمكن للفظات أن تمتد إلى مستوى غير محدود نظرياً، بفعل زيادة وحدات لغوية، في موقع الصفة مثلاً، حيث يمكن إضافة عدد كبير من الصفات إلى الاسم (الأصل) دون أن تُخرج هذه الإطالة المتكررة الناتجة عن مستوى اللفظة.



د. حميدي بن يوسف/ بين مفهوم "اللفظة" في النظرية الخليلية الحديثة ومفهوم "العبارة"

في اللسانيات التوليدية (قراءة مقارنة)

ويربط الحاج صالح بين مفهوم التكافؤ ومفهوم المجموعة، حيث يقول: «والتكافؤ هنا هو من حيث أنّ الزوائد على المفردة لا تُغيّر حكمها فالاسم باق على اسميته وما يزال يكون وحدة على الرغم من الزيادة لأنّه يكون مع زوائده مجموعة يمكن أن تكون مكوّناً للجملة وعلى هذا فالجملة لا تتكوّن في الحقيقة، من مورفيمات بل من مجموعة مورفيمية وقد تكون المجموعة ذات مورفيم واحد (فهي مجموعة وحيدة العنصر)» (11). إذن، فالتكافؤ هنا يحصل بين مجموعات، حتى وإن اختلف عدد عناصرها، فإنّ هذا لا يخرجها عن كونها لفظة. وهذا ما يصرّح به مؤسس النظرية الخليلية الحديثة، حيث يقول بأنّ «كل هذه الفروع متكافئة لغوياً ورياضياً. ومعنى ذلك أنّ كل فرع مساو للأصل ولفروعه (وهي نظائر (12) في اصطلاح القدامى) فكل واحد منها هو اسم واحد كما يقول سيبيويه مهما بلغ طوله» (13). وتوظيف الحاج صالح لمصطلح النظير isotope، بمثل ما يشي باتصاف بنية اللفظات المتكافئة بالدقة، فإنّه يكشف من جهة أخرى عن استعارة المفاهيم العلمية الدقيقة من مجالات أخرى وتوظيفها في الدرس اللساني. ولكن بالرغم من هذا الاعتبار التكافؤي إلا أن الحاج صالح يرى أنّ حد اللفظة ينبغي أن يُنظر إليه وفق المحورين معاً، حيث «يكون أكثر اتفاقاً مع حقيقة اللغة اعتبار هذه العلاقات في مجموعة مهيكلّة أين يتألف التصريفي مع التركيبي بعناية» (14). أي أنه «يؤخذ في الحسبان، وفي الآن نفسه المحوران معاً: إضافات تدريجية حيث تنتج حركة تمدد على المحورين للوصول إلى حدود وحدة دالة قابلة للانبساط حقاً. وليس للتجزئة داخل حد [ما]...» (15). غير أنّ الربط بين المحورين لا يكون من خلال التّظر في كل محور على حدة، بل يمتزج المحوران معاً، فينشأ تبعاً لذلك عدد من اللفظات المتشاكلّة والمتناظرة.

2. 4. اللفظة ومفهوم التوليد:

يقول الحاج صالح، في سياق حديثه عن مصطلح الزمرة: «وهذه الزمرة هي التي «تولّد» الاسم في العربية (...) ولمصطلح «يولّد» هنا معنى رياضي أيضاً (to generate): فهو تحديد رياضي إجرائي (أعمال تنتج منها كيانات معيّنة) وليس تحديداً بالجنس والفصل» (16). وهذا يعني أنّ توليد الوحدات اللغوية وتعريفها في اللسانيات الخليلية يختلف اختلافاً بيناً عن الإجراء الأرسطي الذي يقوم على وضع المفهوم ضمن جنسه القريب، ثمّ فصله عن غيره بتعداد فصوله، حتى يتحقق التمييز، فينشأ المفهوم ويتولّد ويتميّز عن غيره.

ويحاول الحاج صالح أن يفرق بين التوليد عند العرب والتوليد في النمط التشجري عند شومسكي، حيث يقول: «استعار تشومسكي أيضاً هذا المصطلح [أي التوليد] للدلالة على التوليد الاندراجي (قواعد إعادة الكتابة) وليس التوليد عند العرب اندراجياً بل تركيبياً. فالشجرة عند تشومسكي ترسم عملاً تحليلياً يتبيّن فيه كيف تندرج المكونات القريبة بعضها في بعض. ويمكن

أن نرسم المثال المولّد العربي بشجرة أيضا غير أنّه يصير بذلك تحليليا فلا تتبيّن فيه الحركية التحويلية التركيبية. إلا أنّ هذا التشجير للمثال المولّد وإن كان مشوّها إلى حد بعيد فقد يفيدنا ببيانه عن كيفية تداخل الوحدات وتجمّعها في الكلام أي على مستوى الكلام المنطوق لا على مستوى نظام الكلام في حدّ ذاته» (17). ولكنّ التوليد الخاص بتشومسكي هنا يعبر عن المفهوم التوزيقي، وهو يختلف فيما يبدو عن مفهومه في نظرية العبارة س الذي لا يعدو أن يكون نوعا من الإسقاط إلى مستويين، كما سنرى ذلك لاحقا.

3. العبارة ومعايير تحديدها في نظرية العبارة س:

مرّت نظرية النحو التوليدي التحويلي بمراحل متعدّدة، ومن بين تلك المراحل المهمة، المرحلة الخاصة بنموذج النظرية القياسية الموسّعة، حيث تم اقتراح «تشكيل فرضية عامّة حول بنية المكوّنات، [والمتمثلة في] نظرية العبارة س، الخاصة بالبنى المتوافقة» (18)، حيث يكافئ فيها أصل البنية أو نواتها بنية مركّبة أخرى تشتمل على هذا الأصل بالإضافة إلى عناصر ترتكّب معه.

3.1. التعريف بنظرية العبارة س :

اتّضح في الأنحاء التوليدية السابقة لنظرية العبارة س أنّ «مبادئ بنية المكوّنات المعقّدة لم تعكس أي مبدأ عام أو كلي للغات الطبيعية. [وعليه، فإنّ] نظرية العبارة س تشكّل محاولة ناجحة من أجل علاج نقاط الضعف في النماذج الكلاسيكية [القديمة]، فتسمح في المقابل بتقديم فرضيات عامة جدا تغذي مبادئ النحو الكلي» (19)، أي أن نظرية العبارة س جاءت بمثابة استدراك على النظريات السابقة، ولا سيما النظرية القياسية، التي تستند في وصف المكون النحوي للعبارات على أساس قواعد إعادة الكتابة.

ومن الأسباب التي أدت إلى نشوء مفهوم العبارة، «إعادة النظر في مكوّن أساسي من الجزء النحوي هو قوانين بنية العبارة. فقد وُجد أنّ التشابهات البنيوية المنتظمة بين العبارات المختلفة تقتضي منا. إذا أردنا أن تكون كفؤة وصفيا. أن نحسب حسابها في صياغتنا لقواعد بنية العبارة. (...) فقوانين بنية العبارة قد كُتبت على أساس وصف بنية كل عبارة على حدة. لقد كُتبت القوانين وفقا لكل فصيلة. فهناك قانون للعبارة الاسمية، وآخر للعبارة الفعلية، وثالث للعبارة الوصف وهكذا، إلا أنّ الملاحظة الدقيقة في هذه العبارات تُظهر تشابها كبيرا فيما بينها. لكن القوانين التي تُكتب لكل عبارة (...) لن تُظهر هذه التشابهات البنيوية الكبيرة وحقيقة كون بنية العبارة واحدة تقريبا. تتكوّن عموما. مع بعض الفروق الطفيفة. من رأس ومخصّص وفضلة مهما كانت فصيلة رأسها. اسما أو فعلا أو صفة ...» (20).

د. حميدي بن يوسف/ بين مفهوم "اللفظة" في النظرية الخليلية الحديثة ومفهوم "العبارة"

في اللسانيات التوليدية (قراءة مقارنة)

وبيان ما سبق، أن بنية الجملة في الأنحاء السابقة، كانت تمثل من خلال إعادة كتابتها وذلك بتحديد مكونات كل مركب من مركباتها على حدة، فالجملة التي تمثل بنية التركيب العليا تحدد بأنّها وحدة تركيبية تتشكّل من مركب اسمي وآخر فعلي، والمركب الاسمي يتألف من أداة التعريف + اسم، والمركب الفعلي يتشكل من فعل + مركب اسمي وهكذا؛ أي أنّ هذه المركبات تتخذ في بنيتها صوراً بنوية مجردة مختلفة.

وخلافاً لذلك، فإنّ نظرية العبارة س «تقضي بأنّ كل مكون نحوي . فيما عدا الوحدات المعجمية (كالفعل، الاسم، الصفة، والظرف) (21) . هو عبارة تتألف من رأس ومخصص يسبقه وفضلة تليه. والرأس يكون من نوع فصيلة العبارة. وقد تبلورت الاقتراحات المتعددة حول صياغة بنية العبارة في تصوّر موحد لهيكل العبارة يتكوّن من مستويين يكون فيهما التفرّع ثنائياً. فالعبارة تكون إسقاطاً أكبر maximal projection ويرمز لها إما بـ ع س أو س وهي تتفرّع إلى عنصرين هما المخصص والإسقاط المتوسط الذي يُرمز له بـ س وهذا العنصر الثاني يتفرّع إلى عنصرين أيضاً أولهما هو رأس العبارة س وأما العنصر الثاني فهو الفضلة، وعلى النحو التالي:»(22).

ع س (س) ← مخصص - س

س ← س - فضلة» (23).

ووفقاً لما سبق، فـ«جميع المركبات المختلفة لها نفس البنية، فالرأس يُسبق بمخصص (...) ويتبع بفضلة (complément)»(24). غير أنّها لا تمثّل بصورة خطية. ولقد استقر الأمر على تمثيل يسير وفق مبدأ الإسقاط، الذي يقضي بأنّ «المعلومة المعجمية تمثّل تركيبياً»(25). فعمل الذهن أثناء الانتاج اللغوي يقضي باستشراق الوحدات التركيبية التي سترتبط بالرأس الذي اختاره، وما يستتبع ذلك من علاقات نحوية، أساسها التخصيص والإضافة بواسطة الفضلة، فيحقق بذلك نوع من الإسقاط الذي يُنتج العبارة.

وبناء على هذا الاقتراح الخاص بوصف العبارات، يمكن القول بأنّ هذه الصياغة «تتيح لنا (...) أن نحسب حساب التشابه المنتظم والمطرّد بين العبارات ذات الرؤوس المختلفة. وتتيح لنا كذلك أن نقدّم وصفاً موحّداً . أي أن ننظر نظرة واحدة . لبعض العمليات النحوية التي قد تشترك فيها أكثر من عبارة . مثل البناء للمجهول في الجمل والعبارات الاسمية»(26).

وبخصوص بنية العبارة فإنّ «الرأس المعجمي يعطي اسم المركب»(27)، فإذا كان الرأس اسماً، فإن المركب يكون اسماً، وإذا كان الرأس فعلاً فإنّ المركب يكون فعلاً، وينسحب الأمر على الصفة والظرف.

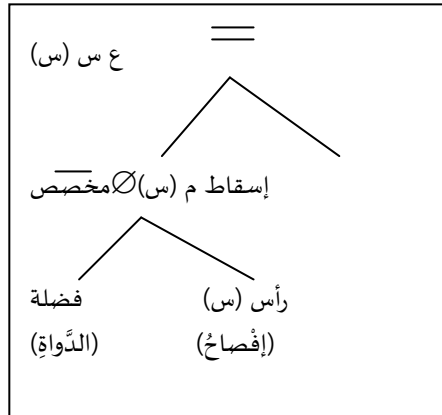
والملاحظ أنّ «في بنية الإسقاط الأكبر، توجد عناصر غير متغيرة، ثابتة (...) وتوجد أيضاً وسائط متغيرة، تتعلّق بترتيب بين الإسقاط المتوسط س (غير الظاهر على السطح) ومخصص س

من جهة، وبين س [الرأس] وفضلته من جهة أخرى»(28). ومستوى الإسقاط الأكبر يعكس البنية الأكثر عمقا، أما الوسائط فتقوم بدور ترتيب العناصر داخل العبارة دون أن يخرج الناتج عن البنية المجردة الثابتة للعبارة.

2.3. تجلي مفهوم العبارة في اللغة (مثالان تطبيقيان):

يمكن التمثيل على تطبيقات نظرية العبارة س بمثال من العربية وآخر من الفرنسية، حيث وقع اختيارنا على عبارة: "إفصاح الدواة"، وعبارة "le rêve épineux" اللتين تحققان نوعين من أنواع العبارات تتميزان باختلاف البنية الظاهرية، حيث سنعمل إلى الكشف عن بنيتهما العميقة الموحدة.

عبارة "إفصاح الدواة" هي عبارة اسمية تتجلى صورتها الخطية في تركيب مؤلف من مُضاف ومُضاف إليه. ولكن هذه الصورة الخطية لا تلبث أن تصير وفق الرؤية التحليلية لنظرية العبارة س إلى صورة مشجر يُنطلق فيه من عقدة تتفرع إلى مكونين، الأول هو المخصّص (وهو في هذه الحالة عنصر عديمي $(\emptyset)$)، والثاني عبارة عن عقدة تمثّل إسقاطا متوسطا يتولّد منه عنصران: رأس العبارة المتمثّل في كلمة إفصاح، والفضلة التي تجسدها كلمة الدواة. ويمكن تلخيص هذا التمثيل في المخطّط المقابل. وقبل الحديث عن الأنموذج الثاني، من المفيد التنبيه إلى أنّ هذا المخطّط يصدق على أنواع العبارات الأخرى (العبارات الفعلية، أو عبارات الصفة، أو عبارة الجر أو الظرف).

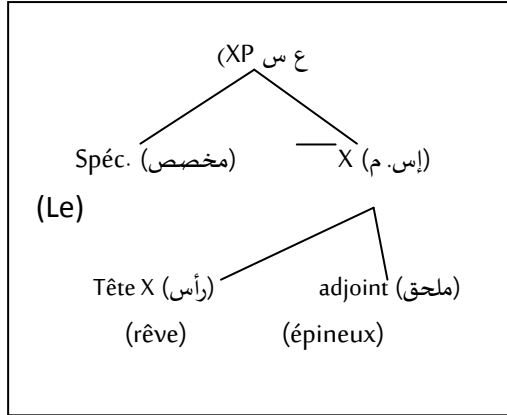


أما بالنسبة للعبارة الفرنسية *le rêve épineux*، فهي عبارة اسمية تتألف خطياً من موصوف متبوع بصفة. ولكن تمثيلها الشجري وفق نظرية العبارة س يأخذ صورة مغايرة للصورة الخطية، بحيث يتم الانطلاق فيه، مثلما هو الأمر بالنسبة للعبارة العربية السابقة، من عقدة

د. حميدي بن يوسف/ بين مفهوم "اللفظة" في النظرية الخليلية الحديثة ومفهوم "العبرة"

في اللسانيات التوليدية (قراءة مقارنة)

تتفرّع إلى مُخصّص مملوء هو أداة التعريف le، وإسقاط متوسّط يتفرّع بدوره إلى عنصرين: رأسٍ تحقّقه كلمة rêve، وملحقٍ تُجسّده كلمة épineux. والجدير بالذكر هنا، هو أنّه بالرغم من اختلاف عناصر هذه العبرة بالقياس إلى العبرة السابقة إلّا أنّ تمثيلها لا يخرج عن إطار المشجّر العام الذي أقرّته نظرية العبرة س.



وختاما من اللازم التنبيه إلى أنّ التحليل السابق للعبارتين لا يستهدف توضيح كيفية انبناء العبارات وفق نظرية العبرة س فحسب، وإنّما يسعى إلى التدليل على أنّ هذا الأنموذج الشجري المكوّن من مستويين يصلح لأن يُطبّق على جميع العبارات مهما كان نوعها، وأيّّا كانت اللغة التي تنتهي إليها.

3.3. العبرة س والتحويل:

يبدو أنّ أغلب التحويلات التي ارتبطت بنظرية العبرة س هي تحويلات تركيبية تقع في مستوى فوق اللفظة، أي مستوى جملي، حيث يرى مرتضى جواد باقر أنّنا «نستطيع أن نميّز هنا منحيين في تحديد أنواع التحويلات: الأول تحديدها من ناحية البنى التي تنشؤها هذه التحويلات، فقسّمت إلى ثلاثة أنواع: أحدها هي التحويلات القليلة التي تعمل في الجمل الكبرى مثلا، كتبادل المواقع بين الفاعل والمساعد الفعلي في الجمل الاستفهامية في الإنجليزية. والنوع الثاني هو التحويلات المحلية التي تعمل بين عنصرين متجاورين. مثل إلصاق وحدة صرفية باسم أو فعل. أما النوع الثالث والمهم. وهو الذي تنتهي إليه التحويلات في غالبيتها العظمى. فهو التحويلات التي تحافظ على البنية، كالتحويل الذي ينقل مفعول الجملة إلى بدايتها ليكون فاعلا (نائباً للفاعل) في بناء الجملة للمجهول» (29). ويستفاد من هذا القول أمران: الأول يتمثل في وجود تحويل محلي يمكن أن ينطبق على المستوى الأدنى للعبرة، والثاني يتعلّق بمبدأ المحافظة على

البنية وهو مبدأ أيضا موجود في بنية اللفظيات عند الحاج صالح، حيث هناك تكافؤ تتجلى فيه المحافظة على البنية بالرغم من وجود تحويل.

«أما المنحى الثاني في تحديد أنواع التحويلات فقد كان باتخاذ معيار اختلافها في حدود عملها. وفي هذا قُسمت التحويلات إلى ثلاثة أنواع: أولها تلك التي تعمل في نطاق العبارة الجمالية الواحدة ولا تتعداها كالتحويل الذي يقلب العبارة الاسمية إلى ضمير انعكاسي حين تكون هناك عبارة لها نفس الإحالة تسبقها في الجملة كما في ضرب محمد نفسه» (30). ويبدو أنّ هذا النوع أكبر من العبارة. فهو خاص بالجملة.

4 . نتائج المقارنة بين اللفظة والعبارة:

كثيرا ما يؤدي الاطلاع الأولي على التشابهات الظاهرية بين المفاهيم إلى إجراء مقارنات غير مؤسسة منهجيا، نتيجة وجود تشابهات وهمية تطفو على السطح. أما بالنسبة لمفهوم اللفظة في النظرية الخليلية الحديثة ومفهوم العبارة في نظرية النحو التوليدي في مرحلتها الموسّعة فقد كشف إمعان النظر فيهما أن إجراء مقارنة بينهما أضحت أمرا مؤسسا، نظرا لاتفاق المفهومين في كثير من النقاط، وهي نقاط تؤكد الأسس العامة والأهداف النظرية المشتركة بين النظرية الخليلية الحديثة، ونظرية العبارة س، ولا سيما تلك النزعة الشمولية التي تتغياها كل واحدة، بحيث إنهما تسعيان إلى جعل المفاهيم اللسانية قابلة للاستيعاب والتطبيق على أكبر عدد من اللغات. وفيما يلي نتائج المقارنة التي أفرزتها الدراسة، والتي تم تلخيصها في العناصر الآتية:

1 . يعتبر كل من مصطلح العبارة واللفظة مكونين تركيبيين مركزيين، ويحدّدان في كل من نظرية العبارة س ونظرية النحو التوليدي التحويلي من خلال عدد من المعايير الشكلية والاعتبارية.

2 . كل من اللفظة والعبارة وحدات لغوية تنتمي إلى المستوى التركيبي، بالرغم من تحققها أحيانا في وحدة معجمية واحدة اسما أو فعلا.

3 . تقع كل من اللفظة والعبارة في مستوى متوسط من مستويات اللسان، يتحقق في المستوى الإفرادي (المعجمي) والجملي، وهي بهذا الموقع المحوري تكشف عن طبيعة العلاقات الصرفية والتركيبية بين الوحدات اللسانية.

4 . تمثل كلّ من العبارة واللفظة مستوى عال من التجريد، بحيث إنّ بنيتهما المجردة تستوعب معظم الوحدات اللغوية في المستوى الأدنى من التركيب.

5 . كل من العبارة واللفظة تمثلان وحدات لغوية ذات توافق في البنية، بحيث إنّ هناك علاقة تكافؤ بين الرأس وبين الرأس وملحقه من جهة وبين النواة والنواة وزوائدها من جهة أخرى.

د. حميدي بن يوسف/ بين مفهوم "اللفظة" في النظرية الخليلية الحديثة ومفهوم "العبارة"

في اللسانيات التوليدية (قراءة مقارنة)

6. تحقّق العبارة ضمن اللغات يأتي بواسطة الاشتقاق، بينما تتحقّق اللفظة بالاعتماد على التكافؤ والقياس.

7. يمثّل الرأس أساس العبارة، كما تمثل النواة أساس اللفظة، بحيث إنّ حذفهما يؤدي إلى تلاشي كل من العبارة أو اللفظة.

8. تشتمل العبارة على ملحقات وعلى مخصصات قابلة للحذف، وكذلك الحال بالنسبة لللفظة التي تشتمل على زوائد لا يؤثر حذفها على اللفظة. ووفقا لذلك فالعبارة يمكن أن تتكون من رأس، ويقدر كل من المخصص والفضلة بمورفيمات عديمة، ويمكن أن تُحذف الزوائد المكوّنة لللفظة سواء كان ذلك على اليمين أو اليسار، ويتم الإبقاء فقط على النواة التي تمثل الكلمة.

9. مكونات العبارة تعتبر إسقاطا يتألف من مستويين، توضّح فكرة الاشتقاق العمودي. أما بالنسبة لللفظة فهناك تكافؤ بين اللفظة ومشتقاتها (في صورة نظائر)، وتظهر البنية في مستوى أفقي (الزوائد) وفي مستوى عمودي (الاستبدال).

10. اللفظة والعبارة هما وحدتان مجردتان، تشتملان على العنصر العدمي الذي يكشف أنهما وحدتان لغويتان نظاميتان، ويدلان على غياب المورفيم في الكلام أو الخطاب.

11. العلاقة بين الأصل وتحققات اللفظة المختلفة (بالزوائد وبدونها) هي علاقة تناظر، isotopies، في حين أنّ العلاقة بين العبارة وتجلياتها هي علاقة اشتقاق.

12. بالرغم من حضور مفهوم التوليد في كلتا النظريتين، فإنّ التوليد الخليلي هو توليد تركيبّي يُظهر الحركة التحويلية التركيبية للعناصر.

13. يحضر مفهوم التحويل في كلا المكوّنين، غير أنّ مفهوم التحويل في نظرية العبارة س يتجلّى في مظاهر مختلفة، ترتبط أساسا بمستوى ما فوق العبارة الواحدة، أي الذي يحدث بين العبارات، أما المفهوم الموافق للتحويل في مستوى اللفظة فهو تحويل محلي "يعمل بين عنصرين متجاورين مثل إلصاق وحدة صرفية باسم أو فعل".

14. يمكن للإطالة أن تتحقّق داخل اللفظة الواحدة، من خلال الزيادات على اليمين أو اليسار، وبخاصة في موضع الصفة، أما الإطالة في نظرية العبارة س فيمكن تلمّسها من خلال العلاقة بين العبارات، حيث يمكن لعبارة كلية أن تتضمّن عبارات داخلها، ويتم تفريعها على نحو جانبي، بحيث كل إسقاط للرأس يحتوي على إسقاط رأس آخر، والعبارة المكتنفة في عبارة إذا استقلت بنفسها فهي تسمى عبارة أيضا.

5. خاتمة:

ليس الغرض من هذه المقارنة بين مفهوم اللفظة في النظرية الخليلية الحديثة، ومفهوم العبارة في مرحلة النظرية الموسعة من مراحل تطور النحو التوليدي إظهار جوانب التأثير والتأثر بين النظريتين، بل إنّ المراد هو التأكيد على أنّ النظر العميق في بنية اللغات الذي يصل إلى حد التجريد المضاعف يكشف عن مفاهيم كلية يمكن أن تتجاوز حدود اللغة الواحدة. وإذا كانت نظرية العبارة س قد طُبِّقت على عدد كبير من اللغات، بما في ذلك العربية، وقد أفضت التطبيقات إلى نتائج جيّدة، فإنّه من هذا المنطلق، واستنادا إلى التشابهات التي أثبتناها في هذه الدراسة، يمكن القول بأنّ مفهوم اللفظة في النظرية الخليلية الحديثة يحق له أن يصبح موضوعا لدراسة شاملة تسعى إلى اختباره وتطبيقه على لغات أخرى غير العربية، إضافة إلى مفاهيم أخرى في النظرية الخليلية الحديثة، كمفهوم العمل، والمثال، والموضع وغيرها. وبمثل ما يعد هذا المطلب ضرورة معرفية، فإنّه يعتبر استجابة لأمنية الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح مؤسس النظرية الخليلية الحديثة رحمه الله الذي تطلّع إلى أن يرى نظريته تفيض على لغات أخرى غير العربية.

الإحالات:

- (1) الحاج صالح عبد الرحمن، (2007)، المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، ضمن: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، ص. 219.
- (2) Hadj Salah Abderrahman, Linguistique arabe et linguistique générale, (essai de méthodologie et d'épistimologie du 'ilm al 'arabiyya, publication de l'académie algérienne de la langue arabe, Tome2, p. 185.
- (3) Ibid. p.592.
- (4) Ibid. pp 192- 228.
- (5) الحاج صالح عبد الرحمن، (2007)، دور النظرية الخليلية الحديثة في النهوض بالبحوث الحاسوبية الخاصة باللغة العربية، ضمن: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، ص: 83.
- (6) نفسه، ص. 83.
- (7) نفسه، ص. 85.
- (8) Hadj Salah Abderrahman, Linguistique arabe et linguistique générale, Tome2, p. 189.
- (9) الحاج صالح عبد الرحمن، (2007)، المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، ص. 219 - 220.
- (10) نفسه، ص. 221.

- (11) الحاج صالح عبد الرحمن، (2007)، تعال نحي علم الخليل أو الجوانب العلمية المعاصرة لثراث الخليل وسيبويه، ضمن: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، ص. 73.
- (12) يُطلق الحاج صالح مصطلح isotope باعتباره ترجمة لمصطلح النظر، يُنظر: (Hadj Salah Abderrahman, 1999, p. 209, Linguistique arabe et linguistique générale, Tome2). وهذا المصطلح يتفق مع المفهوم الكيميائي، حيث: يرى كل من "ريتزر وبايلي" Rittner & Bailey أن مفهوم التناظر isotopie يتحقق بين «الأشكال المختلفة للعنصر [الكيميائي] الواحد الذي له نفس عدد البروتونات بينما تختلف أعداد النيوترونات في نواته» (Don Rittner and Ronald A. Bailey, (2005), Encyclopedia of Chemistry, Library of Congress, New York, p. 148). وهذا يعني أن التناظر لا يُقصد به التطابق التام، فالأشكال المجسدة للعنصر الكيميائي الواحد تختلف فيما بينها نتيجة اختلاف عدد النيوترونات المكونة لكل شكل، ولكن ما يوحد هذه الأشكال، ويجعلها تحقق نوعية لنفس الجنس (العنصر الكيميائي) هي السمة المشتركة المتمثلة في وجود نفس العدد من البروتونات في بنية العنصر الكيميائي، وهي السمة التي بغياها تزول خاصية التناظر من أصلها.
- ويُضيف جون داينيث في معجم آخر أن «نظائر isotopes نفس العنصر [الكيميائي] لها خصائص متماثلة جدا لأن لها نفس الصورة الإلكترونية، ولكنها تختلف قليلا في خصائصها الفيزيائية» (John Daintith, (2004), Dictionary Of Organic Chemistry, Library of Congress, New York, p. 124). ومما يلفت النظر في هذا التحديد أن درجة التماثل البنوي بين المتناظرات عالية جدا، مما يؤكد أن مفهوم التناظر في مجال الكيمياء يقوم أساسا على التماثل كما سبق القول.
- (13) الحاج صالح عبد الرحمن، (2007)، دور النظرية الخليلية الحديثة في النهوض بالبحوث الحاسوبية الخاصة باللغة العربية، ص: 86.
- (14) Hadj Salah Abderrahman, Linguistique arabe et linguistique générale, Tome2, p. 198.
- (15) Ibid. pp. 198 - 199.
- (16) الحاج صالح عبد الرحمن، (2007)، دور النظرية الخليلية الحديثة في النهوض بالبحوث الحاسوبية الخاصة باللغة العربية، ص. 86، 87.
- (17) نفسه، ص. 87.
- (18) Jacques Moeshler, Antoine Auchlin, (2000), Introduction à la linguistique contemporaine, Armand Colin, 2nd ed., p. 85.
- (19) Ibid. p. 85.
- (20) مرتضى جواد باقر، (2002)، مقدّمة في نظرية القواعد التوليدية، دار الشروق، الأردن، ط1، ص. 68.
- (21) يبدو أن استثناء هذه الوحدات يعود إلى كونها تمثّل وفق هذا المنظور وحدات معجمية وليست تركيبية.
- (22) مرتضى جواد باقر، (2002)، المرجع السابق، ص. 68.
- (23) نفسه، ص. 69.
- (24) Jacques Moeshler, Antoine Auchlin, (2000), Introduction à la linguistique contemporaine, p. 87.
- (25) Ibid. p. 88.
- (26) مرتضى جواد باقر، (2002)، مقدّمة في نظرية القواعد التوليدية، ص. 69.
- (27) Jacques Moeshler, Antoine Auchlin, (2000), Introduction à la linguistique contemporaine, p. 87.

(28) Ibid. p. 88.

- (29) مرتضى جواد باقر، (2002)، مقدّمة في نظرية القواعد التوليدية، دار الشروق، الأردن، ط1، ص. 70.
(30) نفسه، ص. 71.

مراجع البحث:

- 1 . الحاج صالح عبد الرحمن، (2007)، تعال نحي علم الخليل أو الجوانب العلمية المعاصرة لتراث الخليل وسيبويه، ضمن: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية.
- 2 . الحاج صالح عبد الرحمن، (2007)، دور النظرية الخليلية الحديثة في النهوض بالبحوث الحاسوبية الخاصة باللغة العربية، ضمن: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية.
- 3 . الحاج صالح عبد الرحمن، (2007)، المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، ضمن: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية.
- 4 . مرتضى جواد باقر، (2002)، مقدّمة في نظرية القواعد التوليدية، دار الشروق، الأردن، ط1.

5- John Daintith, (2004), Dictionary Of Organic Chemistry, Library of Congress, New York.

6 - Hadj Salah Abderrahman, Linguistique arabe et linguistique générale, (essai de méthodologie et d'épistimologie du 'ilm al 'arabiyya, publication de l'académie algérienne de la langue arabe, Tome2.

7 - Moeshler Jacques, Auchlin Antoine, (2000), Introduction à la linguistique contemporaine, Armand Colin, 2nd ed.

8 - Don Rittner and Ronald A. Bailey, (2005), Encyclopedia of Chemistry, Library of Congress, New York.